2009
أدباء
دار نشر أدباء ...؟
تصميم الغلاف : عبدالله رجب
سُقوط حُر
★ قصة قصيرة ★
محمد فايز

سُقوط حُر

للكاتب

محمد فايز المرسي

جميع حقوق النشر الإلكتروني محفوظة للكاتب
ودار أدباء ٢٠٠٠ للنشر الإلكتروني
قصة / سُقوط حُر
للكاتب / محمد فايز
تصميم الغلاف / عبدالله رجب
تصحيح لغوي / ندى إبراهيم
الإصدار الأول / نوفمبر ٢٠١٥
دار أدباء ٢٠٠٠ للنشر الإلكتروني
الموقع الخاص بالدار
http://entashaaer.wix.com/odabaa2000
المدونة الخاصة بالدار ومجلة أدباء ٢٠٠٠ على البلوجر
http://odabaa2000.blogspot.com.eg
الصفحة الخاصة بالدار على الفيس بوك
https://www.facebook.com/Odabaa2000/
الجروب الخاص بالدار على الفيس بوك
https://www.facebook.com/groups/1686790618200616/

إهداء

إلى خوف دمرني ..... أهديها لك لتشهد دمارك .

إلى الروح التي غادرت عالمنا .....

إلى خزانة أسراري التي لا تمتلئ.....

إلى (روان) رحمها الله

إلى (هاجر يونس) الصديقة الغالية جداً التي غيرت مجرى حياتي جذرياً وجعلتني أنتبه

لوجود حلم لدى وعلى مسؤولية تحقيقه

محمد فايز المرسي

كالعادة، لن يحتمل البقاء، سيهرب.
كالعادة، سيتحصن بالأرض.
ألقى بجسده على الأرض وهو يتنفس بصعوبة، ووجهه خالٍ من الدم ، يضغط على الأرض بأنامله كأنه يريد أن يمسك بها.
استند برأسه على الأرض، مغلقًا عينيه بقوة، محاولاً أن يلتقط أنفاسه قليلاً.
يشعر بكيانه يدور كما لو كان مركزًا لإعصار يجتاح عقله المنهك، ليورثه آلامًا مبرحةً لا يقوى على احتمالها.
جسده يرتج بشدة رغما عنه، كأن زلزال يضربه بقوة.
أخيرًا؛ بدأ يسيطر على أنفاسه قليلاً، فجلس على الأرض ثم رفع عينيه لينظر إلى السور القديم القابع أمامه، نظرة مليئة بالانكسار.
لم يكن الأمر كذلك، لم تكن تلك حياته.
مازال يذكر كيف كان، مازال يذكر كم أحب هذا المكان.
كم أراد أن يطير يومًا كي يرى شكل السحاب من أعلى، كم تمنى من أعماقه أن يلمس السحاب، مازال يذكر كيف كان ذلك الطفل الذي يترجى أبيه كي يرافقه في إحدى رحلاته حول العالم، فقط ليركب الطائرة ويجرب إحساس الطيران، وكيف كان يقف على حافة شرفة منزله إذا ما كان مكتئبًا، وكم كان يعشق الجلوس هناك في الليالي التي يكون فيها البدر في تمامه.
مدّ يده ليمسح العرق الغزير عن وجهه، لينتبه لوجود شخص ما إلى جواره، نظر إلى ذلك الشخص فإذا بها فتاة، فتاة عجيبة المظهر، تملك شعرًا غجريًا أشقرًا، عينين واسعتين إلى حد الجحوظ، أنف كبير، فم واسع، شفتين رفيعتين، وقصيرة القامة إلى الحد الذي يجعلك تظن أنها طفلة في الثالثة عشرة من عمرها؛ لا شابة في الحادية

والعشرون من العمر، ولكن ما يجعل من مظهرها عجيبًا هو اجتماع كل تلك الصفات الدميمة لتمنحها -بشكل ما- وجهًا جميلاً للغاية.

كانت تجلس إلى جواره ممسكةً بهاتفها المحمول وما إن نظر إليها حتى قالت:

- خمس وعشرون ثانية، لا أعلم لم لا يبدو لي هذا كتقدم.

رفع جسده عن الأرض ليتركه يسقط على كرسي كان أمامه ثم أخذ يمسح عرقه بمنديله وهو يقول:

- اغلقي فمك يا نورا، هذا ليس وقت السخرية.

- حسنًا لن أسخر منك، سأتحدث بجدّية، لقد انتهت مهلة الشهر التي طلبت ولكنك لم تنجح، الآن عليك أن تنفذ وعدك لي وتقبل طلبي.

- ليس بعد.

قالها بينما كان يقف، فصرخت فيه:

- لن تتقدم أبدًا بعنادك هذا، وستظل سجين جُبنِك بقية حياتك!

دون رد؛ تركها وذهب، بينما هي كانت قد اتخذت قرارها بالفعل.

* * *

ثلاثة أيام مرت بعد ذلك دون أن يراها، تراها فقدت الأمل فيه بعد أن عاندها ذلك اليوم؟!

كان يذهب كل يوم بعدها إلى ذلك السور، يشعر بشيء ما يثبت قدميه بالأرض، فلا يقوى على حراكهما، قلق عارم وأفكار تدور كلها حول سقوطه، أفكار قد يهزئ منها هو نفسه إذا ما سمعها من شخص آخر في موضعه هذا ولكنها الآن تبدو له -بطريقة ما- منطقية، وعندما كان يحاول تحدي قلقه، ويدفع نفسه للقفز والوقوف فوق السور كما كان يفعل في صغره؛ تتوقف رؤيته عند هذا الحد ويتكرر أمام عينيه مشهدًا يندر أن يراه أي إنسان على وجه الأرض، السقوط؛ يشعر بجسده كاملاً يدور حول نفسه، عقله يكاد يجن من الخوف، جسده يمتلئ بالعرق الغزير فلا يستيقظ من هذا إلا قافزا بعيدًا عن السور كمن مسته الكهرباء، لينظر بعدها

للسور القابع أمامه بانكسار اعتاد عليه، ثم يذهب محملاً بخزي فشل آخر بعدما يتمكن من السيطرة على جسده مرة أخرى.

كان يسير في الشارع تلبية لاتصال مفاجئ جاءه من نورا تطلب منه الحضور إلى أحد الحدائق التي يعرفها لأمر هام، تنقطع عنه أيامًا ثم تعود فجأة لتطلب ما تشاء وكأن شيئًا لم يكن، تبًا لدلالها هذا، اعتادت عليه بسبب كثرة من هم حولها، يريدون أن يكونوا لها أصدقاء، ولعل التناقض العجيب في وصفها هو أحد الأسباب في كونها بهذه الشهرة بالإضافة إلى عذوبة حديثها مع من تتحدث إليهم للمرة الأولى، أما نحن -أصدقاؤها- فهي تتعامل معنا كأميرة بين خدمها، عالية الهامة دائمًا، ولكنها أبدًا لا تترك صديقًا يحتاج ليد العون دون أن تقدمها له عن طيب خاطر، بل دون أن تنتبه حتى أنها تقدم له خدمة يحتاج إليها، وربما إن شكرتها أو تحدثت إليها عن الخدمة التي أسدتها إليك ستنظر إليك بحيرة وتسأل بصدق عن أي خدمة تتحدث!

طبيعية هي لا صموتة ولا متكلفة، تتعامل مع الحياة بالفطرة كالأطفال، مازال يذكر يومًا في الإسكندرية كانت فيه مكتئبة للغاية فبكت بشدة ولكن عندما شعرت أن هذا لم يخفف من اكتئابها شيئًا صعدت فوق أحد الصخور المجابهة للبحر؛ ثم قفزت في البحر، ثم صعدت بعدها لتقول ببساطة: "أردت أن أطفئ الاكتئاب بداخلي لا أكثر".

عندما وصل إلى المكان المنشود وجدها تجلس مع فتاة ما، وما إن انتبهت إليه حتى أشارت نحوه بإصبعها، وهي تقول شيئًا ما للفتاة التي معها ثم جاءت إليه لتقول:

- إحدى صديقاتي تريد التعرف عليك، كن لطيفًا وإلا عاقبتك بشدة.

- عاقبتك بشدة! أهكذا تقابلينني بعد ما ظللت لثلاثة أيام لا تنطقين معي بحرف واحد على الأقل؟!

- بلى يا خائن الوعد، دعني صامتة كما أنا، وهيّا كي لا نتركها وحدها ونتحاسب هنا على ما حدث.

ثم جذبته من ذراعه واتجهت به نحو الفتاة وهي تقول:

- ها هو ذا المزعج الذي أردت التعرف عليه.
وقفت الفتاة ليظهر طولها الذي لا يختلف كثيرًا عن نورا، ثم استدارت لتظهر ملامحها البسيطة، فقد كانت بيضاء البشرة، سوداء الشعر ناعمه، تمتلك زوجًا من العيون الضيقة تعذر عليه تحديد لونهما من شدة ضيقهما، ولكنه يستطيع أن يجزم أن لونهما فاتحًا كالأزرق أو الأخضر، وأنف وشفتين صغيرتين متناسقتين مع بعضهما بشكل يجعل وجهها هادئ الملامح يسر الناظرين.
مدت يدها نحوه بابتسامة لطيفة وهي تقول:
- مرحبًا، أنا لبنى الشواف، سمعت عنك الكثير من نورا وأردت أن أعرف من هذا الشاب الذي لا تتوقف عن الحديث عنه.
- عني أنا! لا بد أنها كانت إما تسخر مني أو تشكوني.
مر ذلك اليوم عادي جدًا، ظهرت فيه لبني فتاة مرحة للغاية، لبقة الحديث، لديها القدرة على إقناعك أنها تعرف الكثير عما تتحدثان عنه حتى وإن لم تكن تعرف شيئًا.
هي جارة لنورا وتعتبران كالأخوات، ولكن نورا تفضل أن تقول أنهما صديقتان مقربتان للغاية.
كان يشعر طوال الوقت أن عينيها تخترقان عقله، وتكشفان عما بداخله من أفكار، ولكنه لم يُعر ذلك الكثير من الاهتمام لأنه يعتقد ان كل العيون الضيقة تعطي من ينظر إليها نفس الانطباع.
مرت الأيام وتتالت اللقاءات ما بينه وبين لبنى، زادت من متانة رابط الصداقة بينهما، و اكتشف خلالها كم هي مغامرة إلى حد السذاجة، لدرجة أنها قد توقع نفسها بورطة ما، فقط كي تعرف مالذي ستفعله.
يومًا ما بينما كان جالسًا في منزله يتصفح بعض الرسائل على صفحته الإلكترونية، وصلت لهاتفه رسالة من لبنى تحمل من المحتوى ما قل ودل:
" قابلني في الحديقة المعتادة، أرجوك "

شعر بالقلق من محتوى الرسالة، ولاسيما ختامها، فاتصل على هاتفها ليجدها أرسلت الرسالة ثم أغلقته، مما زاد من قلقه فقرر أن يذهب إليها ليعرف ما بها.
عندما وصل إلى الحديقة وجدها تجلس في نفس المكان المعتاد منذ تعرفا على بعضهما البعض، ترتدي السواد منذ قمة رأسها حتى أخمص قدميها، تمسك في يديها كتاب تقرأ فيه ويبدو أنها كانت تقرأ بتركيز شديد، حيث أنها لم تنتبه إلى قدومه وجلوسه إلى جوارها، بل لم تنتبه لوجوده من الأساس إلى أن مس كتفها قائلاً: "ماذا بك ؟" فنظرت إليه ثم ابتسمت ابتسامة شاحبة، ووضعت الكتاب بجوارها على وجهه دون أن تغلقه وهي تقول:
- لا شيء، نورا سافرت مع أهلها لقضاء بعض الوقت بالإسكندرية، والوحدة التي شعرت بها بعد أن سافرت أورثتني بعض الاكتئاب، لذا أردت التحدث مع أي شخص غير نورا كي لا أعكر عليها صفو رحلتها مع أهلها.
- حسنًا لا بأس، هأنذا هنا وسنتحدث عن أي شيء تريدين.
- ما رأيك إذا أن نتحدث عنك أنت؟
- عن ماذا إذا تريدين الحديث ؟
- لقد علمت من نورا بأمر رهابك، ولكني لم أعرف كيف حدث بما أنك كنت عاشقًا للطيران في صغرك.
ابتسم في سخرية وهو يقول:
- يبدو أن نورا كانت تتحدث عني كثيرًا حقًا، بالفعل كنت عاشقًا للطيران في صغري، وكنت أحلم أن أكبر لأكون طيارًا، ولكن نهاية حلمي كانت السقوط.
- سقطت من أعلى؟
أغلق عينيه بقوة دون رد وقد توقف عقله بالكامل عند صورةٍ ما، طفل يقف على حافة سطح بيت وهو مبتسم، مغلق عينيه، ما إن يضربه الهواء حتى يضحك بجذل، رافعًا ذراعيه بمحاذاة كتفه كالطائرة، ومن خلفه فتاة تضحك وهي تقول شيئًا ما فيلتفت إليها؛ ولكن الهواء يدفع جسده من الجانب دفعة خفيفة، بينما هو مشتت الانتباه فيفقد توازنه ويسقط من أعلى مبني من ست طوابق!

ولولا العناية الإلهية التي أسقطته في إحدى السيارات المحملة بالرمال؛ لكانت العاقبة أشد من كسر في القدم، وكتف مخلوع وبعض الرضوض الأخرى، بالإضافة لمشهد لم ولن ينساه، مشهد سقوطه دون أن يوقفه شيء وجسده يدور حول نفسه فتارة يرى السماء التي حلم بالوصول إليها، وتارة يرى الأرض فاتحة بوابة زنزانتها لتسجنه بداخلها مرة وللأبد.

- متى حدث هذا ؟

انتشله سؤال لبنى من حطام ذكراه المرير، فقال وهو ما يزال مغلقًا عينيه:

- منذ ست سنوات.

- وإلى متى ستظل خائفًا؟

- إلى أن يشاء الله أن يجعلني أتغلب على خوفي.

- إن الله لا يغير ما في قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

نظر إليها وهمّ أن يقول شيئًا ما، ولكنها استطردت:

- أعلم أنك تحاول، ولكن لن تنجح أبدا مادام مازال هذا يحمل الذكرى (مشيرة إلى رأسه)، وهذا يحمل الخوف (مشيرة إلى قلبه).

- إن كنت مكاني كيف كنت ستواجهين هذا الخوف؟

- سأتحداه.

- حاولت مرارًا وفشلت.

- حاول مجددًا.

- كيف ؟!

وقفت من مكانها وهي تقول له:

- لا أظن أن هذا هو السؤال الذي ينبغي أن تسأله لي أو لنفسك حتى.

ثم تركته واستأذنت أن تذهب لقضاء أمر ما وستعود بعد دقائق، وبعدما ذهبت انتبه لوجود كتابها الذي كانت تقرأ فيه موضوع إلى جانبه.

أمسك بالكتاب ورفعه أمام وجهه لينعقد حاجبيه بشدة،

فقد وجد بالصفحة التي توقفت عندها فقرة محاطة بخط أحمر،

"السؤال الأهم،

هل تريد أن تحلق حقًا؟

هل تريد أن تشعر كأنك طير بلا أي قيود أو جاذبية؟

أم أنك تريد تلك النهاية السوداء؟".

ما هذا! وكأنه يخبره بما أرادت لبني أن تقوله.

أمسك بالكتاب مرة أخرى وأكمل القراءة بعد تلك الفقرة،

"السقوط الحر

ما الجديد فيه؟

منذ أن خلقت وأنت تسقط سقوطًا حرًا".

صامتًا جامد الملامح ظل يعيد قراءة هاتين الفقرتين، حقًا، لم الخوف؟ لا شيء جديد في السقوط، كل شيء في الحياة يسقط، حتى الطيور أحيانًا تضم أجنحتها إلى جوارها مستسلمة للأرض، تجذبها إليها ثم تفردهما مجددً بالقرب من الأرض لتثبت تفوقها على الجاذبية.

وقف فجأة من مكانه ثم ركض خارجًا من الحديقة دون أن ينتبه للفتاتين اللتين كانتا تقفان على مقربة منه، وينظرن إليه إلى أن وصل إلى مكان يعرفه جيدًا.

السور، السور الذي حمل من هزائمه ما لا يعد والآن سيشهد نصره.

ظل يركض نحو السور وبداخله هدف واحد فقط، اليوم سينتهي هذا الخوف، اليوم سيكسر الطفل البوابة التي سجنته، اليوم سيطير الطفل ليصل للسماء.

بدأ يشعر بتثاقل قدميه، بدأ القلق يعرف سبيله إلى قلبه مرة أخرى ولكن!

لن أقبل أن اعيش سجين الأرض يومًا آخر، لا أريد تلك النهاية السوداء.

اتجه إلى السور ثم قفز بكل قوته من فوق وهو مغلق عيناه ثم فتحهما ليرى النيل أسفله مباشرة، سمع خلفه صرخة صوت يعرفه جيدًا يقول :"إنه لا يعرف السباحة" لا يهم إن كنت أستطيع السباحة أم لا، لا يهم إن كان أسفلي ماء أو أرض صلبة.

لا يهم إن كنت سأنجو أم لا، فلا شيء في الوجود يمكن مقارنته بإحساسه الآن، متعة لم يشعر بها في حياته إطلاقًا، تبًا لخوفٍ حرمني لسنوات من هذا الإحساس، أنا الآن حر فلعنة الله على كل سلاسل هذه الحياة المقيتة .

السقوط الحر

ما الجديد فيه؟

منذ أن خلقت وأنت تسقط سقوطًا حرًا،

كل ما ربيت عليه، كل ما تعشقه، كل أخلاقك وأحلامك ومخاوفك تتناقص تدريجيًا حتى لحظة الاصطدام الأخيرة، والآن يكاد يقسم أن الخوف انتهى تمامًا، ولا شيء بقلبه سوى السعادة والمتعة الخالصتين، فابتسم واغلق عينيه ليبتلعه الماء.

تمت بحمد الله